

أوضاع بلاد المغرب قبيل الفتح الإسلامي من خلال الدراسات الاستشرافية
-شارل أندري جوليان (1891-1991م) أنموذجا-

The conditions of the Maghreb countries before the Islamic conquest through oriental studies- Charles Andre Julien as a model -

د. مرزاق بومداح¹

¹المدرسة العليا للأساتذة-بوزريعة (الجزائر)، merrzzakk@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/06/16 تاريخ القبول: 2023/09/10 تاريخ النشر: 2023/09/14

ملخص: من بين الدراسات الاستشرافية التي تناولت أوضاع بلاد المغرب قبل الفتح الإسلامي نذكر كتاب تاريخ إفريقيا الشمالية للمستشرق الفرنسي شارل أندري جوليان حيث أشار في كتابه أن بلاد المغرب في تلك الفترة كان خاضعا للسيطرة البيزنطية، وقد تم تقسيمه إلى عدة مقاطعات وهي: موريطانيا الطنجية وموريطانيا القيصرية، وموريطانيا السطايفية، وإقليم المزاقي، وطرابلس، ونوميديا، كما ظهرت بعض الممالك البربرية المستقلة، وأما عن التنظيم الاجتماعي فقد كان البربر ينقسمون إلى بدو وحضر، وقد تعمقت الخلافات الدينية التي كان البيزنطيون قد نقلوها إلى بلاد المغرب مما أدى إلى إثارة الطوائف النصرانية بمختلف أصنافها وهذا الأمر كان سببا في بروز الكثير من الفتن، وفي أواخر العهد البيزنطي انفصلت بلاد المغرب عن الإمبراطورية البيزنطية حيث قام البطريق جرجير بقيادة حركة انفصالية أدت في النهاية إلى تنصيبه إمبراطورا على المنطقة، وأعلن انفصاله عن الإمبراطورية البيزنطية.

كلمات مفتاحية: بلاد المغرب، الفتح الإسلامي، شارل أندري جوليان، الأوضاع، الدراسات الاستشرافية.

Abstract: Among the oriental studies that dealt with the conditions of the Maghreb countries before the Islamic conquest, we mention the book History of North Africa by the French orientalist Charles André Julian, where he indicated in his book that the Maghreb at that period was subject to Byzantine control, and it was divided into several provinces, namely: Mauritania of Tangier and Mauritania of Caesarea, Mauritania, Setifia, the territory of Al-Mazaq, Tripoli, and Numidia, as well as some independent Berber kingdoms appeared, and as for the social organization, the Berbers were divided into Bedouins and urbanites, and the religious differences that the Byzantines had transferred to the countries of Morocco deepened, which led to the excitement of Christian sects of various kinds, and this The matter was the cause of the emergence of a lot of strife, and in the late Byzantine era, Ifriqiya was separate from the Byzantine Empire, where the penguin Arugula led a separatist movement that eventually led to his inauguration as emperor of the Maghreb, and the declaration of his separation from the Byzantine Empire.

Keywords: The Maghreb, Islamic conquest, Charles Andre Julian, conditions, oriental studies

*المؤلف المرسل: د. مرزاق بومداح

1. مقدمة

تناول العديد من المستشرقين تاريخ بلاد المغرب منذ القديم وإلى يومنا هذا، ومن أبرزهم نذكر المستشرق الفرنسي شارل أندري جولييان من خلال كتابه تاريخ إفريقيا الشمالية.

ومن هنا يمكننا طرح الاشكالية التالية: من هو شارل أندري جولييان؟ وما هي أهم نشاطاته؟ والمؤلفات التي خلفها؟ وكيف تناول أوضاع بلاد المغرب قبيل

أوضاع بلاد المغرب قبيل الفتح الإسلامي من خلال الدراسات الاستشراقية -شارل أندري جوليان
أنموذجا-

الفتح الإسلامي؟ وهل كان منصفاً فيما طرحه من قضايا في تلك الفترة من تاريخنا؟

نحاول من خلال هذه الدراسة التعرف على أوضاع بلاد المغرب السياسية والاجتماعية والدينية وفق ما ذكره المستشرق الفرنسي شارل أندري جوليان، ومقارنة ذلك بما ذكره المؤرخون المسلمون، وتفنيد بعض الشبهات والرد عليها.

2. التعريف بالمستشرق الفرنسي شارل أندري جوليان

1.2 مولده ونشأته والوظائف التي تبوأها

ولد شارل أندري جوليان بمدينة كان (Cannes) الفرنسية في الثاني من شهر سبتمبر من سنة 1891م، (جوليان، 1976، ص2)، وهاجر من بلده فرنسا في سنة 1906م، وعمره لم يتجاوز الخامسة عشر، وتوجه إلى مدينة وهران، وتحصل على شهادة البكالوريا، فعمل كاتباً بمحافظة وهران (أقحيز، 2016، ص200).

وفي سنة 1910م انتخب رئيساً لرابطة حقوق الإنسان في الجزائر وتونس، ثم عمل مستشاراً لبلدية وهران، واشتغل بالصحافة، وقد بدأ بالكتابة في المجلة الأسبوعية "الكفاح الاجتماعي"، وعمل أستاذاً للأدب، وأرسل إلى فرنسا في نفس الوظيفة، ثم إلى وهران في سنة 1919م، وعين في سنة 1920م ممثلاً للدعاية في شمال إفريقيا من طرف المؤتمر الاشتراكي، وعند انقسام الحزب الاشتراكي في مؤتمر تور بين التيارين الاشتراكي والشيوعي انضم إلى هذا الأخير، وانتخب مرشداً عاماً لوهـران سنة 1921م، وعين أميناً عاماً للمجلة التاريخية بداية من سنة 1927م، ثم سكرتيراً للهيئة العليا للبحر الأبيض المتوسط، ليمتحن ثانية التدريس، لكن هذه المرة بجامعة السربون (قسم تاريخ الاستعمار)، ثم عمل بالمدارس العليا لمدة ثلاثين سنة بفرنسا، وكان مسؤولاً عن التعليم لأقطار ما وراء البحار، وبمعهد الدراسات السياسية، ثم بالمدرسة القومية للإدارة، وربما هذا ما جعله يتعلق بالدراسات المغربية (علي عشي وفضيلة هدار، 2019م، ص ص664-665).

ويعتبر أندري جوليان من مؤسسي كلية الآداب بمدينة الرباط وعين عميدا بنفس الكلية لمدة أربع سنوات (1957-1961م)، واشتغل كاتبا عاما للجنة العليا للبحر الأبيض المتوسط وإفريقيا السوداء لدى رئاسة الحكومة الفرنسية خلال سنوات 1936-1939م، وعمل مستشار للوحدة الفرنسية (1947-1958م) (جوليان، 1976م، ص2).

2. 2 أهم مؤلفاته

ترك لنا المستشرق الفرنسي أندري جوليان العديد من المؤلفات، ومن أهمها نذكر ما يلي:

-تاريخ إفريقيا الشمالية: تمت ترجمة هذا الكتاب من طرف محمد مزالي والبشير سلامة، وقامت بطبعه الدار التونسية، وقد اعتمدنا في مقالنا هذا على الطبعة الرابعة لشهر فيفري 1983م، وقد تناول فيه المؤلف تاريخ إفريقيا الشمالية (تونس، الجزائر، المغرب الأقصى) منذ عصور ما قبل التاريخ إلى الاحتلال الفرنسي للجزائر في سنة 1830م.

-إفريقيا الشمالية تسير (القوميّات الإسلامية والسيادة الفرنسية): ترجمه إلى العربية المنجي سليم وآخرون في سنة 1953م وراجعه فريد السوداني، وقامت بطبعه الدار التونسية للنشر والشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر في سنة 1396هـ/1976م. (جوليان، 1976، ص10)، ومن الشبهات التي ذكرها في كتابه هذا طعنه في اللغة العربية لغة القرآن الكريم وقال أنها لغة دين لا تفي بحاجيات التعبير، وفي الرد على هذه الشبهة يذكر الدكتور أشرف محمد زيدان ما نصه: "ويعد السبب الرئيس في قوة اللغة العربية ومثانتها، هو نزول القرآن بها، منذ بزوغ فجر الإسلام، وبتوسع المد الإسلامي، واتجاه المسلمين لتحرير الناس من عبودية المخلوقين وفق أجواء الحرية، والنور لهم، اتجه أولئك إلى اتخاذ اللغة العربية لغة التعبير؛ وكان للغة العربية وشائج وثيقة بحياتهم الاجتماعية الفكرية

أوضاع بلاد المغرب قبيل الفتح الإسلامي من خلال الدراسات الاستشراقية -شارل أندري جوليان
أنموذجا-

وغيرها، وعن طريق هذه اللغة كان نتاج الحضارة الإسلامية الزاهرة في شتى المجالات الفكرية والثقافية والعلمية". (زيدان، 2011م، ص ص57-58)..

وينبها الأستاذ الدكتور عبد المجيد الطيب عمر إلى مكانة اللغة العربية في العصر الأموي بقوله: "وفي حوالي الثلث الأخير من القرن الأول الهجري، تبوأَت اللغة العربية مكانتها لغة عالمية، بعد أن انتشر الإسلام في الأمصار المجاورة للجزيرة العربية، ففي تلك الأمصار أصبحت العربية لغة الدين والعقيدة، ولغة الدولة الرسمية والسيادة، كما أصبح استخدامها دليلا على الرقي والمكانة الاجتماعية" (الطيب عمر، 1437هـ، ص70)

وأما عن أهمية اللغة العربية ومكانتها في العصر العباسي فيقرر خليفة ما نصه: "... ودخلت اللغة العربية باعتبارها لغة الدولة، جميع ميادين الحياة والمعارف الإنسانية، وما لبثت أن أصبحت اللغة الأولى في العالم" (الطيب عمر، 1437هـ، ص72).

وقد أورد المستشرقان أنجلمان ودوزي أن الكلمات العربية الموجودة باللغة الإسبانية تعادل ربع كلمات اللغة الإسبانية، وأن في اللغة البرتغالية ما يربو عن ثلاثة آلاف كلمة عربية، ويذكر المستشرق لامانس أن هناك سبعمائة كلمة عربية دخلت اللغة الفرنسية، وقدم الأستاذ تايلور أن هناك ما يزيد عن ألف كلمة عربية في الطب والكيمياء والفلك والبيولوجيا والجراحة دخلت اللغة الإنجليزية. (زيدان، 2011م، ص58).

والجدير بالذكر فإن اللغة العربية كما هو متداول تتألف من ثمانين ألف مادة، وأن المستعمل منها حوالي عشرة آلاف، وفضلا عن هذه الثروة اللفظية الهائلة التي تعتبر رصيда ضخما للغة فإن لغتنا تشتمل في طبيعة تكوينها على عناصر نموها وحيويتها؛ فهناك القياس، والقلب، والإبدال، والنحت، والتعريب، والاشتقاق. (زيدان، 2011م، ص59).

-تاريخ الجزائر المعاصرة الغزو وبدايات الإستعمار 1827-1871م الجزء الأول: وقامت بنشره شركة دار الأمة بالجزائر في سنة 2008م، وقد قسم المؤلف كتابه هذا إلى تسعة فصول من الفصل الأول الذي تناول فيه قضية إيالة الجزائر في عام 1827م إلى الفصل الأخير الذي تطرق فيه إلى أزمة الجمهورية وانتفاضة بلاد القبائل (1870-1871م).

-نهاية المحميات وحرب الجزائر: وهو المؤلف الذي قال عنه أندري جولييان بأنه من أفضل جميع مؤلفاته، وقد كتبه بحماس كبير وبلمهجة متأثرة، وقد نشرته المطبعة الوطنية الفرنسية في سنة 1969م في 522 صفحة، وهو يتكلم عن الوطنية المغربية من أصولها إلى بروزها. (جولييان، 1976، ص 17).

-تاريخ إفريقيا البيضاء: صدر في إطار سلسلة ماذا أعرف عن المنشورات الجامعية الفرنسية في باريس في سنة 1966م. (أقحيز، 2016، ص 201).

-تونس أصبحت مستقلة 1951-1957م: وقد صدر عن منشورات جون أفريك 1985م. (أقحيز، 2016، ص 201).

2. 3 وفاته

توفي أندري جولييان في 19 جويلية من سنة 1991م بمدينة باريس عن عمر ناهز مائة سنة. (أقحيز، 2016، ص 200).

1.3 بلاد المغرب قبيل الفتح الإسلامي من خلال نظرة شارل أندري جولييان

حاول أندري جولييان إعطاءنا صورة معينة عن أوضاع بلاد المغرب قبيل الفتح الإسلامي ففي آخر الجزء الأول من كتابه إفريقيا الشمالية، وفي الباب العاشر الذي عنوانه بـ "غزو البيزنطيين لإفريقية من جديد" تناول في آخر هذا الباب أوضاع بلاد المغرب قبيل الفتح، وفي الجزء الثاني ذكر في الباب الأول: الفتح العربي وممالك الخوارج، ثم قسم هذا الباب إلى فصول، وعنون الفصل الأول وهو موضوع الدراسة بـ إفريقيا الشمالية إبان الفتح العربي.

أوضاع بلاد المغرب قبيل الفتح الإسلامي من خلال الدراسات الاستشرافية -شارل أندري جوليان
أنموذجا-

ومما يلاحظ على عنوان هذا الكتاب أنه ذكر مصطلح إفريقيا الشمالية، وهو مصطلح ظهر مع الاحتلال الأوروبي للمنطقة، واستخدمه المؤرخون الفرنسيون كثيرا عند كتاباتهم عن تاريخ المنطقة، وإن كان هذا المصطلح حسب رأي الأوروبيين يشمل ليبيا وتونس والجزائر والمغرب الأقصى بالإضافة إلى مصر، أي المناطق الشمالية المطلة على البحر الأبيض المتوسط إلا أن بلاد مصر قد تم إدراجها ضمن دائرة الشرق الأوسط، وأما أندري جوليان فقد حدد دول إفريقيا الشمالية في كتابه بتونس والجزائر والمغرب الأقصى (جوليان، 1983م، ج 1، ص 27-36)، وبالتالي تم استخدام مصطلح إفريقيا الشمالية عوضا عن المصطلح العربي الإسلامي الذي أطلقه المؤرخون والجغرافيون المسلمون في تلك الفترة وهو مصطلح بلاد المغرب أو إفريقية فالمؤرخ ابن عبد الحكم (ت. 257هـ/871م) الذي أشار في حديثه عن نشاط وال المغرب معاوية بن حديج بقوله ذكر مصطلح بلاد المغرب بقوله: "ثم خرج إلى المغرب بعد عبد الله بن سعد معاوية بن حديج التجيبي سنة أربع وثلاثين" (ابن عبد الحكم، 1415هـ، ج 1، ص 220)، وأما البلاذري (ت. 279هـ/892م) فذكر هذا المصطلح بقوله: "لما فتح عمرو بن العاص الإسكندرية سار في جنده يريد المغرب حتَّى قدم برقة وهي مدينة انطابلس..." (البلاذري، 1988م، ص 221)، وأما الإصطخري (ت. 346هـ/957م) فقد استخدم مصطلح المغرب: "وأما المغرب فهو نصفان يمتدّان على بحر الروم نصف من شرقيّه ونصف من غربيّه فأما الشرقيّ فهو برقة وإفريقيّة وتاهرت وطنجة والسوس وزويلة وما في أضعاف هذه الاقاليم، وأما الغربيّ فهو الأندلس" (الإصطخري، 2004م، ص 36). وابن عذاري (كان حيا 712هـ/1312م): "إن حد المغرب هو من ضفة النيل بالإسكندرية التي تلي بلاد المغرب إلى آخر بلاد المغرب وحده مدينة سلاء... وبلاد الأندلس أيضاً من المغرب وداخله فيه لاتصالها به". (ابن عذاري، 1983م، ج 1، ص 5-6).

وأما مصطلح إفريقية فقد ذكره بعض المؤرخين والجغرافيين المسلمين فالبكري (ت. 487هـ/1094م) يصف لنا بلاد المغرب ويطلق عليه اسم إفريقية بقوله: "وحدّ إفريقية طولها من برقة شرقا إلى مدينة طنجة الخضراء غربا (البكري، 1992، ج2، ص671)، وأما ابن أبي دينار فيذكر أن إفريقية هي بلد القيروان وهي أوسط بلاد المغرب، ثم يذكر في موضع آخر ما نصه: "وحد إفريقية بالطول من برقة إلى طنجة وعرضها من البحر الشامي إلى الرمال التي أول بلاد السودان قاله غير واحد، قلت: في زماننا هذا لا يعبر بإفريقية إلا من واد الطين إلى بلد باجة" (ابن أبي دينار، 1286هـ، ص ص15-16).

وذكر أندري جوليان الفتح العربي بدلا من الفتح الإسلامي (جوليان، 1983م، ج1، ص10) فربط الفتح بالعرب بدلا من الإسلام، ومن المعلوم أن من دواعي الفتوحات لبلاد المغرب كان بالدرجة الأولى هو نشر الدين الإسلامي الحنيف الذي هو دين التوحيد ونبذ الشرك لإخراج الناس من عبادة العباد إلى عباد رب العباد وهو الله سبحانه وتعالى، بالإضافة إلى تخليص السكان من الاحتلال البيزنطي الغاشم.

وتجمع المصادر الصحيحة على أن العرب المنتصرة في بلاد الشام والعراق ومصر قد وقفوا في وجه الفاتحين المسلمين، وجابهوهم وتلقوا الصدمات الأولى، كما أنهم خاضوا المعارك إلى جانب الفرس والروم، ومن أمثلة ذلك نذكر معركة عين التمر حيث واجه العرب المنتصرة الفاتحين المسلمين وكانوا يقولون: "إن العرب أعلم بقتال العرب" (الطبري، ج3، ص376) (المصري، ص56)، وفي بلاد الشام لما وقعت معركة اليرموك الحاسمة في عام 635هـ/13م كان جبلة بن الأيهم بمن معه من العرب المنتصرة على مقدمة باهان الأرمني القائد الروماني (الطبري، 1387هـ، ج3، ص ص394-410، ابن الأثير، 1997م، ج2، ص ص255-258)، وفي

أوضاع بلاد المغرب قبيل الفتح الإسلامي من خلال الدراسات الاستشرافية -شارل أندري جوليان
أنموذجا-

هذا يذكر الدكتور جميل المصري ما نصه: "فإسلام العرب كان نتيجة الفتوحات وليس سببا في الفتوحات" (المصري، 1410هـ، ص60).

ورغم أن معظم الجيوش الإسلامية التي قامت بالفتوحات كانت في القرن الأول الهجري من العرب، ولكن الصحيح هو إطلاق وصف تلك الفتوحات بالإسلامية، لأن هذا الفتح كما ذكرنا تم بهدف نشر الإسلام، وإلا لقلنا الفتح البربري للأندلس لأن معظم الجيش الذي شارك في هذا الفتح بقيادة طارق بن زياد كان من البربر كما يذكر المؤرخون، وأيضا الفتوحات التي حدثت في شرق أوروبا في عهد الدولة العثمانية فالبعض يطلق عليها الفتح التركي أو الفتح العثماني، والصحيح هو الفتح الإسلامي في عهد الدولة العثمانية. وفي وصية عثمان بن أرطغرل لابنه أورخان ما يؤكد ذلك، ومنها قوله: "اعلم يا بني، أن نشر الإسلام، وهداية الناس إليه، وحماية أعراض المسلمين وأموالهم، أمانة في عنقك سيسألك الله عزوجل عنها"، ويقول أيضا: "واعلم يا بني أن طريقنا الوحيد في هذه الدنيا هو طريق الله، وأن مقصدنا الوحيد هو نشر دين الله، وأننا لسنا طلاب جاه ولا دنيا" (أبو غنيمه، 1403هـ، ص ص21-22).

وكانت بلاد المغرب حسب ما ذكره أندري جوليان تحت الاحتلال البيزنطي وهذا منذ سنة 533م بعد أن تمكن البيزنطيون في عهد الإمبراطور البيزنطي جستنيان (527-565م) من طرد الاحتلال الوندالي من بلاد المغرب، وإن كانت مساحة بلاد المغرب في عهد الاحتلال البيزنطي -حسب ما ذكره أندري جوليان وغيره من المؤرخين- كانت أقل بكثير من حدود بلاد المغرب في عهد الاحتلال الروماني، ولم تكن إفريقية البيزنطية على حد قول أندري جوليان تشبه في شيء إفريقية الرومانية، وبرر ذلك أن البيزنطيين لم يكن لهم دور كبير في التصدي للغزاة المسلمين (جوليان، 1983م، ج2، ص9).

وفي الحقيقة كان البيزنطيون يعانون صراعات ضاربة على الحكم، وثورات محلية واضطهادات دينية بين الملكانية والأرثوذكسية وغيرهما، ولكن ما من معركة خاضها المسلمون مع الفرس أو الروم (البيزنطيون) إلا وواجهوا قوات أكثر عدداً، وأكثر عدة، ففي معركة سببيلة التي جرت بين المسلمين والبيزنطيين تمكن البطريق جرجير من حشد جيش تعداداه كما يذكر ابن عذاري 120 ألف مقاتل، والدول التي تحشد لمعركة واحدة مائة ألف وأكثر من ذلك، لا يمكن أن تكون ضعيفة، والإصرار على ضعف دولة الروم (الإمبراطورية البيزنطية) ودولة الفرس تجاهل متعمد لأسباب الفتح الإسلامي وعوامل انتصارات المسلمين الذين تمسكوا بعقيدتهم والتزموا بدينهم. (ابن عذاري، 1983م، ج1، ص10، المصري، 1410هـ، ص74).

وكانت بلاد المغرب كما يذكر أندري جوليان في أواخر العهد البيزنطي مقسمة على النحو التالي:

- 1-موريطانيا الطنجية: وقد انحصرت في سبتة.
- 2-موريطانيا القيصرية: واقتصرت على شرشال (Caesarian).
- 3-موريطانيا السطايفية (Mauritania Sitfiensis): وقد اقتطع منها الجزء الغربي.
- 4-طرابلس (Tripoliana): من غربي برقة إلى قابس، وقد فقدت الجزء الجنوبي منها، وقد ضمت إلى مصر في عهد الإمبراطور البيزنطي موريس (582-602م).
- 5-إفريقية البروقنصلية (Proconsular Africa): التي تقع حالياً في شمالي تونس، وقد بقيت على حالها.
- 6-المزاق بيزاسينيا (Byzacenia): التي تضم الأجزاء الداخلية جنوب تونس.
- 7-نوميديا (Numidia): كانت تشمل غربي تونس وشرقي الجزائر.

أوضاع بلاد المغرب قبيل الفتح الإسلامي من خلال الدراسات الاستشرافية -شارل أندري جوليان
أنموذجا-

وأما الولايات الثلاثة الأخيرة فقد بقيت على حالها، فلم تتغير حدودها على حد تعبير أندري جوليان. (جوليان، 1983م، ج1، ص377، ج2، ص9).
كما ظهرت بعض الممالك البربرية التي كانت كما يذكر أندري جوليان تبدو مستقلة عن والي قرطاج، (جوليان، 1983م، ج2، ص10)، وفي الحقيقة فإن هذه الممالك قد ظهرت واسترجعت حريتها واستقلت منذ أواخر العهد الروماني مروراً بالعهد الوندالي، ومن أهم هذه الممالك نذكر مملكة الأوراس، ومملكة الزاب في بلاد المغرب الأوسط (الجزائر حالياً) ومملكة لواتة في المغرب الأدنى (ليبيا حالياً)، ومملكة البقواط في المغرب الأقصى (المملكة المغربية حالياً) (حفيظة لعياضي، 2017م، ص171).

وقسم أندري جوليان البربر إلى قسمين:

أ-البربر المترومينين: كانوا يقيمون في المدن والقرى، وقد أخذوا في العزوف عن الحضارة الرومانية، والرجوع إلى عاداتهم وتقاليدهم البربرية.
ب-البربر المقيمين في الأرياف: وكانوا بعيدين عن الحضارة الرومانية حيث لم يتمكن الرومان من التوغل.

وتذكر المصادر الإسلامية أن البربر ينقسمون إلى قسمين:

أ-البربر البرانس: هم البربر المستقرون الذين يعيشون على الزراعة، أو البربر الحضر، وحسب ابن خلدون فينقسم هؤلاء إلى سبع قبائل كبرى وهي: أوربة، وصنهاجة، وتعتبر من أكبر القبائل حتى زعموا أنها تمثل ثلث شعب البربر. وقبيلة كتامة، ويصنفها المؤرخون من القبائل البربرية الكبيرة. ومصمودة ومن بطونها قبيلة غمارة وبرغواطة وتعد من أهم قبائل البربر. وقبيلة أوريغة ومن بطونها هواره. وقبيلة أزداجة، وزاد على هذه القبائل السبع سابق بن سليم وأصحابه قبيلة لمطة وهسكورة وجزولة (ابن خلدون، 1408هـ، ج6، ص ص117-118؛ سالم، 1999م، ص51)

-البربر البتر: هم البربر الرحل سكان البادية الذين يعيشون على الرعي والتنقل، وينقسمون إلى أربع قبائل كبرى وهي: قبيلة ضريسة، وقبيلة نفوسة، وقبيلة أداسة، وقبيلة بنولوا الأكبر وهي بطنان نفزاوة نسبة إلى نفزا بن لوا الأكبر، ولوابة نسبة إلى لوا الأصغر بن لوا الأكبر، وتنقسم ضريسة إلى قسمين: مكناسة وزناتة، ويعتبر ابن خلدون زناتة فرعاً قائماً بذاته، ومن أهم بطون زناتة: جراوة، ومغراوة، وبنو يفرن، وبنو مرين، وبنو زيان، ولكل قبيلة بطون وأفخاذ لا يمكن حصرها (ابن خلدون، 1988م، ج7، صص 10-11، سالم، 1999م، صص 52-53).

ويذكر الدكتور عبد العزيز سالم أن العداء بين قبائل البرانس والبربر قديم، وخاصة بين قبيلة صنهاجة البرنسية وقبيلة زناتة البترية، ويرجع سبب ذلك إلى اختلاف أحوالها الاجتماعية من جهة وإغارة الرحل من زناتة على مزارع صنهاجة، واضطرار صنهاجة للاستعانة بالمحتلين الرومان؛ فاستغل الرومان والبيزنطيون هذا الخلاف فوسعوا شقة الخلاف بينهما، وتمكنوا بذلك من تثبيت سيطرتهم على بلاد المغرب (سالم، 1999م، ص53).

وأما عن الحالة الدينية فقد ذكر أندري جوليان أن سكان بلاد المغرب قبيل الفتح الإسلامي كانوا يعانون من الاضطهاد الديني، فيذكر أن المسيحية (النصرانية) قد عرفت أزمتها الأخيرة قبيل زحف المسلمين بعد أن بالغت في التمسك بالنص إذ استتبعت محنة الفصول الثلاثة بدعة جديدة، وذلك أن الراهب سرجيوس، وكان كبير الأساقفة بالقسطنطينية -عاصمة الدولة البيزنطية، حيث كان هذا الأسقف يقول بالإرادة الواحدة أي الإرادة البشرية والإلهية معا (تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً)، وقد وجد هذا القول الذي رفضه فيما بعد المجمع السكسوني السادس المنعقد بالقسطنطينية (680-681م) من يؤازره في شخص هيراكليوس (هرقل الإمبراطور البيزنطي) الذي صدع علناً بعقيدته رغبة

في استمالة الذي يقولون بالحالة الواحدة فأتار لذلك معارضة شديدة في عالم المسيحية (النصرانية) (جوليان، 1983م، ج1، ص381).

نلاحظ من خلال هذا النص أن النصارى قد انحرفوا عن التعاليم التي جاء بها المسيح عليه الصلاة والسلام، في دعوته إلى أفراد الله بالعبادة، وأنه عبد لله ورسوله، وقد ذكر لنا القرآن الكريم ذلك، وذلك في قوله سبحانه وتعالى: "مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نَبِّئُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤفَكُونَ". (سورة المائدة، الآية: 75)، وقوله جلّ وعلا: "وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (116) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (117)". (سورة المائدة، الآيتان: 116-117) وقد رد الله سبحانه وتعالى عن النصارى الذين افتروا على الله الكذب فنسبوا إليه الولد تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا فقال تعالى: "ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (34) مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (35) وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (36) فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَшْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ (37) أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (38) (سورة مريم، الآيات: 34-35-36-37).

كما أن النصارى في ذلك الوقت كانوا يقولون بالتثليث أي: الأب والابن والروح القدس، وفي هذا يقول الله تعالى في محكم تنزيله: "لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْهَوْا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ

الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (73) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (74) (المائدة، الآية: 74).

وجاء في الحديث النبوي الشريف الذي يرويه مسلم عن عبادة بن الصّامِت، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ، وَابْنُ أَمَتِهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ " (مسلم، د. ت. ط، ج 1، ص 57).

وبعد أن تم فتح بلاد مصر من طرف المسلمين في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان ذلك في عام 20هـ/641م حتى أقبل في أربعينيات القرن السابع الميلادي على بلاد المغرب الراهب مكسيموس (Maximus)، وكان من أشهر رجال الدين في تلك الفترة، وكان من أشد الخصوم لبدعة القول بالإرادة الواحدة للمسيح عليه الصلاة والسلام أي الإرادة البشرية والإلهية معا (تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا)، وكان هذا الراهب قد زار الإسكندرية ورأى بعينه الاضطهاد الذي مارسته كنيسة القسطنطينية ضد أقباط مصر، فعقد النية على تخليص الناس من بطش الدولة البيزنطية التي تزهدت أرواح الناس بمذاهبها وأهوائها، ولما وصل إلى بلاد المغرب التف الناس حوله، وأخذ يبث تعاليمه الجديدة المناهضة للدولة البيزنطية، ولقيت هذه الآراء هوى في حاكم أو بطريق إفريقية جرجير (جرجيوس) فأخذ يبذل العون لمكسيموس ويشجعه على الاستمرار فيما هو آخذ فيه من مناهضة الدولة البيزنطية وصرف الناس عنها، كما لقيت دعوة مكسيموس ترحيبا من بابا روما فقدم له العون في مناهضة كنيسة القسطنطينية (جوليان، 1976م، ج 1، ص 381-382، طه ذنون، 2004م، ص 64-65، مؤنس، د. ت. ط، ص 21، 46، 47).

أوضاع بلاد المغرب قبيل الفتح الإسلامي من خلال الدراسات الاستشرافية -شارل أندري جوليان
أنموذجا-

خلاصة القول أن الانحراف الذي أصاب الديانة النصرانية أدى ظهور إلى العديد من المذاهب المنحرفة كبدعة القول بالإرادة الواحدة وبدعة القول بالإرادتين -تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا-، وقد أدى ذلك إلى محاولة كل فريق فرض مذهبه على الناس بالقوة مما أثار الكثير من السخط والغضب، وكما يذكر أندري جوليان فقد نتج عن ذلك ثورة القبائل البربرية ضد الإمبراطور البيزنطي قسطنس الثاني (641-668م) الذي كان متهما بالقول بالإرادة الواحدة، وانحازت هاته القبائل البربرية إلى البطريق جرجير (جريجوريوس).

وأما عن الحالة السياسية فقد ازدادت أوضاع بلاد المغرب سوءا بعد تولي عرش الإمبراطورية البيزنطية طفل صغير وهو قسطنز الثاني في سنة 641م، ولم يكن قادرا على استرداد هيبة الإمبراطورية التي هزمت من قبل المسلمين، وفقدت بلاد الشام ومصر بالإضافة إلى نشوب العديد من الثورات في شرق وغرب الإمبراطورية، وفي هذه الظروف قام حاكم إفريقيا أو البطريق جرجير (جريجوريوس) في سنة 646م مؤيدا من قبل رجال الدين وبابا روما ثيودوروس (Theodorus) بالانفصال عن حكومة بيزنطة المركزية، وإعلان نفسه إمبراطورا على الممتلكات البيزنطية في بلاد المغرب، واتخذ من سبيطلة عاصمة له حتى يتعد عن خصومه بقرطاجة، وضرب السكة باسمه. (جوليان، 1976م، ج1، ص 381-382، مؤنس، ت. ت. ط، ص ص21، 46، 47)

وبعد مرور سنتين من انفصال البطريق جرجير عن حكم الإمبراطورية البيزنطية أي في سنة 27هـ/648م، -في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه- قام والي مصر آنذاك عبد الله بن سعد بن أبي سرح، بالتوجه إلى بلاد المغرب ومحاصرة البطريق جرجير مع قواته في مدينة سبيطلة التي تبعد حوالي سبعين ميلاً عن مدينة القيروان، وتمكن المسلمون من هزيمة البطريق جرجير وقتله، وبالتالي بدأ عصر جديد وهو عصر بلاد المغرب في ظل الدين الإسلامي

الحنيف، أين شهد بلاد المغرب الإسلامي أزهى عصوره، وشارك العرب والبربر وغيرهم من الأجناس باعتبارهم أمة واحدة في بناء وازدهار الحضارة الإسلامية. (ابن خياط، 1397هـ، ص159) (الطبري، 1387هـ، ج4، ص256).

4. خاتمة

من خلال ما سبق يمكننا القول أن بلاد المغرب قبيل الفتح الإسلامي كان يعيش أوضاعا سياسية واجتماعية ودينية صعبة للغاية، وهذا نتيجة للاحتلال البيزنطي الغاشم، ولم يتم تغيير هذا الوضع إلا بقدوم الفاتحين المسلمين ليبدأ عهد بلاد المغرب الإسلامي المشرق خلافا لما يراه المستشرق أندري جوليان من أن قدوم العرب المسلمين كان هدفه النهب والسلب، وما يفند هذا القول أن سكان بلاد المغرب قاوموا المسلمين في البداية لاعتقادهم أن الفاتحين المسلمين مثل غيرهم من المحتلين كالرومان والوندال والبيزنطيين كان هدفهم هو الاستيلاء على بلاد المغرب واستعباد أهله، واستغلالهم بأبشع الطرق، وفرض الضرائب المجحفة في حقهم، ونهب ثروات البلاد، والحصول على الغنائم، ولما أدرك سكان بلاد المغرب المبادئ السامية التي يتحلى بها الفاتحون المسلمون وأنهم خلاف غيرهم من المحتلين السابقين اعتنقوا الدين الإسلام الحنيف، وتخلوا عن الديانة الوثنية والنصرانية، وشاركوا مع إخوانهم الفاتحين في استكمال الفتوحات الإسلامية، ومن أمثلة ذلك فتح بلاد الأندلس، وجزيرة صقلية، وإفريقيا الغربية، كما شارك سكان بلاد المغرب في بناء الحضارة الإسلامية وازدهارها، وبرز منهم العديد من العلماء والفقهاء والأدباء والأطباء وغيرهم في شتى فنون العلم والمعرفة.

5. قائمة المراجع:

-المؤلفات:

- 1- ابن الأثير علي، 1417هـ-1997م، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر بن عبد السلام تدمري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان
- 2- جوليان أندري شارل، 1983م، تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب: محمد مزالي والبشير سلامة، ط4، الدار التونسية للنشر، تونس.
- 3- جوليان أندري شارل، 1396هـ/1976م، إفريقيا الشمالية تسير القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية، ترجمة: المنجي سليم وآخرون، مراجعة: فريد السوداني، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، الدار التونسية، تونس.
- 4- حمودة عبد الحميد حسين، 1427هـ/2007م، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي من الفتح الإسلامي وحتى قيام الدولة الفاطمية، الدار الثقافية للنشر، القاهرة-مصر.
- 5- عبد الحميد سعد زغلول، 1993م، تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصور الاستقلال، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر.
- 6- الطبري وصلة تاريخ الطبري، 1387هـ، ط2، دار التراث، بيروت-لبنان.
- 7- الطيب عمر عبد المجيد، منزلة اللغة العربية بين اللغات المعاصرة دراسة تقابلية، 1437هـ، ط2، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، المملكة العربية السعودية.
- 8- مؤنس حسين، (د.ت. ط)، فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، الإسكندرية-مصر.

9- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، د. ت. ط، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، دار إحياء التراث العربي - بيروت-لبنان.

10- المصري جميل عبد الله محمد، 1410هـ/1990م، دواعي الفتوحات الإسلامية ودعاوي المستشرقين، دار القلم، دمشق-سوريا، الدار الشامية، بيروت-لبنان.

11- سالم عبد العزيز، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، 1999م، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية-مصر.

12- ابن عذاري محمد بن محمد، 1983م، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت-لبنان.

13- ابن خياط خليفة، 1397هـ، تاريخ بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، ط2، دار القلم، مؤسسة الرسالة، دمشق-سوريا.

14- ابن خلدون عبد الرحمن، 1408هـ/1988م، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت-لبنان.

15- ذنون طه عبد الواحد، 2004م، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس، دار المدار الإسلامي، بنغازي-ليبيا.

16- أبو غنيمة زياد، ط1، جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك، 1403هـ/1983م، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان-الأردن.

المقالات:

1- أقحيز عامر، 2016م، " المؤرخ شارل أندري جوليان ودوره في كتابة تاريخ الجزائر"، قضايا تاريخية، المجلد 01، العدد 02، المدرسة العليا للأساتذة-بوزريعة-الجزائر.

أوضاع بلاد المغرب قبيل الفتح الإسلامي من خلال الدراسات الاستشرافية -شارل أندري جوليان
أنموذجا-

- 2-لعياضي حفيظة، 2017م، مقاومة الأوراس للاحتلال البيزنطي، مجلة البحوث التاريخية، العدد01، العدد 01، جامعة محمد بوضياف المسيلة.
- 3-زيدان أشرف محمد، "مكانة اللغة العربية في ضوء تلازمها بالقرآن الكريم"، مجلة مداد الآداب، العدد 01، 2011م، جامعة مالايا-ماليزيا.
- 4-عشي علي وفضيلة هدار، 2019م، "الفتح الإسلامي للأوراس بين المصادر العربية ونظرة شارل أندري جوليان"، مجلة الإحياء، المجلد 19، العدد 22، جامعة باتنة-الجزائر.